المحاضرة الخامسة

علم النفس التحليلي

مقدمة :

يُعدّ علم النفس التحليلي من أبرز الاتجاهات النفسية التي أسهمت في فهم أعماق النفس الإنسانية، وقد ارتبط نشأته باسم العالم السويسري "كارل غوستاف يونغ 1875-1964"، الذي درس الطب ،ثم تخصص في الطب العقلي .كان من أوائل مريدي فرويد ،وتعاون معه ابتداء من 1907 عندما كان يعمل مع بلولير Bleuler في عيادة زوريخ ...ثم دفع فرويد بيونغ وأقامه رئيسا لجمعية التحليل النفسي العالمية ،وهو عمل بقي فرويد ياسف له طول حياته. لكن هذا المنصب لم يمنعه من انتقاد أستاذه فرويد بشدة ،فلم يوافقه مثلا ، على دور الغريزة الجنسية الذي عدَها سبب نشأة العصاب عند الفنانين ، ويوافق "يونغ" أستاذه على مبدأ " اللاشعور" بوصفه مظهر من مظاهر الفن، ويسميه "اللاشعور الفردي أو الشخصي" أو "الخافية الخاصة" ،لكنه يختلف عن التحليل الفرويدي في عدة نقاط جوهرية وهي :

1- اللاشعور "الجمعي" أو "الخاصية العامة" : لقد اهتم "يونغ" باللاوعي الجماعي ويراه أنه المنبع الأساسي للأعمال الأدبية والفنية، والبوتقة التي تنصهر فيها كل النماذج البدائية و الرواسب القديمة و التراكمات الموروثة و الأفكار لأولى". فإذا كان فرويد لا يؤمن إلا باللاشعور الفردي ، فإن يونغ قسم الأعماق اللاشعورية إلى نوعين: نوع شخصي و الآخر جمعي موروث ، ولم يعرف فرويد سوى النوع الأول والواقع أن اللاشعور الشخصي أشبه أن يكون جزيرة بارزة وسط محيط واسع عميق ،إذا اقتربت إليه بدت ضئيلة رغم كل ما أضفاه عليها فرويد من التهويل. ذلك أن اللاشعور الجمعي جماع تجارب الإنسانية، و قد انحدرت إلينا من أسلافنا البدائيين عابرة نفوس الأجداد و الآباء. وقد يبدو هذا عجيبا ، لكن يونغ يرد على المتعجبين بقوله "إن دروس التطور البيولوجي قد أطلعتنا على بقايا جسدية نقلتها الوراثة إلينا من الأسلاف ، فلا بأس أن تكون هناك وراثة نفسية أيضا ، وراثة اللاشعور الجمعي ، وهو متحد لدى الأفراد جميعا بغض النظر على حدود المجتمعات". والتأكيد وجود هذا اللاشعور الجمعي نفذ يونغ دراسات ميدانية حيث سافر إلى إفريقيا وأمريكا ودرس قبائل وشعوب بدائية واستجمع اساطيرها ورموزها الثقافية وقارن بينهما ليخلص في النهاية إلى وجود تشابه كبير بين ثقافات الانسان على الرغم من التباعد الجغرافي والاختلاف البيئي ،وأنّ ثمّة شيء مشترك يصدر عن هذه التمثلات الثقافية هو اللاشعور الجمعي.

يقول يونغ أيضا أن اللاوعي الجمعي هو نتيجة تجربة العرق البشري طوال مليونين من السنوات .انه اشبه ما يكون بيمّ من الصور والاشكال التي تظهر للوعي في حالات الاحلام والحالات العقلية اللاسوية .انه طبقات من الانفعالات والدوافع البدائية والقوى الحالكة.فنحن نحمل بقايا تأسلية ،موروثة عن الأجداد الأوائل ؛وعلى هذه الأسس الاسلافية فينا ،والعائدة إلى الآلاف من السنين ،تقوم شخصيتنا بكلمات أعم ،إن التكوين الفردي يعيد التكوين للعرق ،للجنس البشري كله،فما سبق أن وجد في الجنس البشري يبقى ماثلا أبدا في الفرد"

2 – الاختلاف في تحديد المفهوم الرئيسي:

يرى فرويد يرى فرويد أنّ الغريزة الجنسية "الليبيدو" هو المحرّك الأساسي للسلوك الإنساني، ولا تقتصر على الفعل الجنسي الضيق، بل تشمل مختلف مظاهر اللذة منذ الطفولة، وبذلك منح الغريزة الجنسية دورًا مركزيًا في تفسير الإبداع، والدين، والفن، والسلوك الاجتماعي، وأنّ أي خلل في إشباع هذه الغريزة قد يؤدّي إلى اضطرابات نفسية لاحقة .لكن "يونغ" خالف أستاذه فرويد في حصر الطاقة النفسية في البعد الجنسي، يعني ذلك " أن لا الغريزة الجنسية ولا غريزة التفوق والقوة تفسران، وحدهما كل شيء .فالانسان أصعب وأعقد وأغنى من أن يفسر بهذه الغريزة أو بتلك .ثم إن هاتين الغريزتين ،بالذات،لا تستطيعان ذلك. هنا قدم يونغ بديلا عن هاتين الغريزتين هو: مفهوم الغريزة الحيوية ،أو "القوة

الخالقة للحياة والمحافظة عليها "،أو الطاقة الوحيدة والاساسية". ويفهم من ذلك أنّ الغريزة الجنسية، في تصور يونغ، لا تمثّل المحرّك الأساسي للنفس، بل تُعدّ أحد مظاهر النموّ والتطوّر النفسي التي ترافق الإنسان عبر مراحل حياته.

3 – اختلاف في تفسير الاحلام:

يظهر الاختلاف أيضا بين فرويد ويونغ في تصورهما لتفسير الأحلام، وهذا طبعا بحسب المنطلقات النظرية في علم النفس لكل منهما ، فبينما يرى فرويد أنّ الحلم يُعدّ تعبيرا غير مباشر عن رغبات مكبوتة، غالبا ما تكون ذات طابع جنسي، ينظر يونغ إلى الحلم بوصفه رسالة رمزية تصدر عن اللاوعي، "تعبر عن بقايا الغرائز والأفكار والمشاعر العتيقة الجدودية والجماعية ى. وهذه البقايا هي ما سماه يونغ|: الأنماط الرئيسية ،الأصلية، النبعية، الأولى، البدئية". وكل هذا هو السعي إلى تحقيق التوازن النفسي وإرشاد الفرد في مسار تطوّره الداخلي.

لقد انتهى يونغ إلى ما انتهى إليه أستاذه ، وهو "أن عملية الإبداع الأدبي أو الفني عملية معقدة غامضة ، لا يمكن لفرضيات التحليل النفسي أن تحل لغزها بسهولة ، وأن كان يقترح منهج فني جمالي لتعمقها أو العودة إلى الحالة المشاركة الصوفية لاستكناه بعض أسرارها".